سورة عم يتساءلون

مكية، وتسمى سورة النبإ، وهي أربعون، أو إحدى وأربعون آية [نزلت بعد المعارج]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾

﴿عَمَّ﴾ أصله عما، على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر. قال حسان رضي الله عنه [من الوافر]:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِى لَئِيمٌ ... كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ[1]

---

(١) على ما قام يشتمني لئيم ... كخنزير تمرغ في رماد
وتلقاه على ما كان فيه ... من الهفوات أو نوك الفؤاد
جبين الغي لا يغبى عليه ... ويغبى بعد عن سبل الرشاد

لحسان بن المنذر. وقيل: ابن ثابت، يهجو أحد بني عائذ بني عمرو بن مخزوم. وما استفهام إنكاري وكان حقها حذف الألف لدخول حرف الجر عليها، وثبوتها قليل، أي: على أي شيء يسبني لئيم مثل الخنزير المتمرغ في الرماد لذله. ويروى: في دمان كرماد وزنا ومعنى. أ وبمعنى الدمنة وهي الكناسة المختلطة بالبعر؛ ولعل ابن ثابت غيره وإلا فقصيدة ابن المنذر دالية لا نونية. والنوك: الحمق والهوج. والفؤاد: القلب والعقل، أي: وتلقاه مع ما ثبت فيه من الخلل لا يخفى عليه الغي المبين، أي: يرتكب طريقه ولا يعرف سبل الرشاد. ومعنى البعدية: تفاوت ما بين الخبرين. وغبا عليه الشيء ـ كرضي ـ: خفي عليه. وغبي هو عن الشيء ـ كرضي أيضًا ـ: عجز عن معرفته. وفي قوله: «لا يغبى... إلخ» طباق الإيجاب والسلب.

ينظر: ديوانه ص ٣٢٤، والأزهية ص ٨٦، وخزانة الأدب ٥/ ١٣٠، ٦/ ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٤، والدرر ٦/ ٣١٤، وشرح التصريح ٢/ ٣٤٥، وشرح شواهد الشافية ص ٢٢٤، ولسان العرب (قوم)، والمحتسب ٢/ ٣٤٧، ومغني اللبيب ١/ ٢٩٩، والمقاصد النحوية ٤/ ٥٥٤، ولحسان بن منذر في شرح شواهد الإيضاح ص ٢٧١، وشرح شواهد المغني ٢/ ٧٠٩، وبلا نسبة في تخليص الشواهد ص ٤٠٤، وشرح الأشموني ٣/ ٧٥٨، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٢٩٧، وشرح المفصل ٤/ ٩، وهمع الهوامع ٢/ ٢١٧.

والاستعمال الكثير على الحذف، والأصل: قليل ومعنى هذا الاستفهام: تفخيم الشأن، كأنه قال عن أي شأن يتساءلون ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد[1]؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره، كما تقول: ما الغول وما العنقاء؟ تريد: أي شيء هو من الأشياء هذا أصله؛ ثم جرد العبارة عن التفخيم[2]، حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضًا. أو يتساءلون غيرهم من رسول الله ﷺ والمؤمنين نحو: يتداعونهم ويتراءونهم. والضمير لأهل مكة: كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث، ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ بيان للشأن المفخم. وعن ابن كثير أنه قرأ: عمه، بهاء السكت، ولا يخلو: إما أن يجري الوصل مجرى الوقف وإما أن يقف ويبتدىء ﴿يَتَسَآءَلُونَ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ على أن يضمر ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ لأنّ ما بعده يفسره، كشيء يبهم ثم يفسر. فإن قلت: قد زعمت أنّ الضمير في يتساءلون للكفار. فما تصنع بقوله ﴿هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾؟ قلت: كان فيهم من يقطع القول بإنكار البعث، ومنهم من يشك. وقيل: الضمير للمسلمين والكافرين جميعًا، وكانوا جميعًا يسألون عنه. أما المسلم فليزداد خشية واستعدادًا وأما الكافر فليزداد استهزاء. وقيل: المتساءل عنه القرآن. وقيل: نبوّة محمد ﷺ. وقرئ: يساءلون، بالإدغام، وستعلمون بالتاء.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع للمتسائلين هزؤا. و﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أنّ ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق، لأنه واقع لا ريب فيه. وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ﴿ثُمَّ﴾ الإشعار بأنّ الوعيد الثاني أبلغ من الأوّل وأشد.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾

---

(١) قال محمود: «معنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن، كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون ونحوه ما في قولك... إلخ» قال أحمد: وقد أكثرت أم زرع من هذا التفخيم في قولها: وأبو زرع ما أبو زرع، إلى آخر حديثها.

(٢) قال محمود: «هذا أصله، ثم جرد الدلالة على التفخيم... إلخ» قال أحمد: لأن بعضهم يشك في البعث، وبعضهم يبت النفي؛ ومن ثم قيل الضمير للمسلمين والكافرين، فسؤال المسلمين ليزدادوا خشية، وإنما سؤال الكفار لزيادة الاستهزاء والكفر.

فإن قلت: كيف اتصل به قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦﴾[1] قلت: لما أنكروا البعث قيل لهم: ألم يخلق من يضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة، فما وجه إنكار قدرته على البعث، وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم: ألم يفعل هذه الأفعال المتكاثرة. والحكيم لا يفعل فعلا عبثًا، وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤدّ إلى أنه عابث في كل ما فعل ﴿مِهَٰدًا﴾ فراشًا. وقرئ: مهدًا، ومعناه: أنها لهم كالمهد للصبي/ ٢/ ٢٥٠ب: وهو ما يمهد له فينوّم عليه، تسمية للممهود بالمصدر، كضرب الأمير. أو وصفت بالمصدر. أو بمعنى: ذات مهد، أي أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالأوتاد ﴿سُبَاتًا﴾ موتًا. والمسبوت: الميت، من السبت وهو القطع؛ لأنه مقطوع عن الحركة. والنوم: أحد التوفيين، وهو على بناء الأدواء. ولما جعل النوم موتًا، جعل اليقظة معاشًا، أي: حياة في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ [النبأ: ١١]، أي: وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم. وقيل: السبات الراحة ﴿لِبَاسًا﴾ يستركم عن العيون إذا أردتم هربًا من عدوّ، أو بياتًا له. أو إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الأمور [من الطويل]:

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ ... تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ[2]

﴿سَبْعًا﴾ سبع سموات ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديدة، يعني: محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الأزمان ﴿وَهَّاجًا﴾ متلألئا وقّادًا، يعني: الشمس: وتوهجت النار: إذا تلمظت[3]

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: كيف اتصال قوله: (ألم نجعل الأرض مهادًا) بما قبله... إلخ» قال أحمد: جوابه الأول سديد، وأما الثاني فغير مستقيم، فإنه مفرع على المذهب الأعوج في وجوب مراعاة الصلاح والأصلح، واعتقاد أن الجزاء واجب على الله تعالى عقلاً ثوابًا وعقابًا بمقتضى إيجاب الحكمة. وقد فرغ من إبطال هذه القاعدة.

(٢) وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب
وقاك ردى الأعداء تسري إليهم ... وزارك فيه ذو الدلال المحجب

لأبي الطيب. وكم خبرية للتكثير. واليد: النعمة. وتخبر: تدل مجازًا مرسلاً. والمانوية طائفة تنسب الخير للنور والشر للظلام؛ فكذبهم في البيت الأول، واستدل على ذلك، وبنى اليد في الثاني. والدلال: تمنع المحجوب مع رضاه. وتسري: حال؛ والمحجب: نعت ذي الدلال، وإيضاح مسألة المانوية. أنه لم يخالف في أن الله واحد إلا الثنوية. قالوا: تجد في العالم خيرًا كثيرًا وشرًا كثيرًا، والواحد لا يكون خيرًا شريرًا، فلكل من الخير والشر فاعل مستقل، فالمانوية والديمانية قن الثنوية قالوا: فاعل الخير هو النور، وفاعل الشر هو الظلمة، واعتقدوا أنهما جسمان قديمان حساسان سميعان بصيران. والمجوس من الثنوية أيضًا قالوا: إن فاعل الخير هو: يزوان. وفاعل الشر هو: أهرمن، يعنون به الشيطان، وكل ذلك ظاهر البطلان.
ينظر ديوانه ٢/ ٢٢٩، والدر المصون: ٦/ ٤٦٢.

(٣) قوله: «وتوهجت النار إذا تلمظت» في الصحاح «توهجت النار» توقدت. وتوهج الجوهر: تلألأ؛ =

فتوهجت بضوئها وحرها. المعصرات: السحائب إذا أعصرت، أي: شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر، كقولك: أجز الزرع، إذا حان له أن يجز. ومنه: أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض. وقرأ عكرمة: «بالمعصرات»، وفيه وجهان: أن تراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، وأن تراد السحائب؛ لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها، كما تقول: أعطى من يده درهما، وأعطى بيده، وعن مجاهد: المعصرات الرياح ذوات الأعاصير. وعن الحسن وقتادة: هي السموات. وتأويله: أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب، فكأنّ السموات يعصرن، أي: يحملن على العصر ويمكنّ منه. فإن قلت: فما وجه من قرأ: ﴿مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ وفسرها بالرياح ذوات الأعاصير، والمطر لا ينزل من الرياح؟ قلت: الرياح هي التي تنشىء السحاب وتدرّ أخلافه[1] فصحّ أن تجعل مبدأ للإنزال؛ وقد جاء: أنّ الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب، فإن صحّ ذلك فالإنزال منها ظاهر، فإن قلت: ذكر ابن كيسان[2] أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات، والعاصر هو المغيث لا المعصر. يقال: عصره فاعتصر. قلت: وجهه أن يريد اللاتي أعصرن، أي حان لها أن تعصر، أي: تغيث ﴿ثَجَّاجًا﴾ منصبًا بكثرة يقال: ثجه وثج نفسه وفي الحديث: «أفضل الحج: العجّ والثجّ» (١٧٠١) أي رفع الصوت بالتلبية، وصب دماء الهدي. وكان

١٧٠١ ـ أخرجه الترمذي (٣/ ١٨٩) كتاب الحج: باب ما جاء في فضل التلبية والنحر حديث (٨٢٧) وابن ماجه (٢/ ٩٧٥) كتاب المناسك: باب رفع الصوت بالتلبية حديث (٢٩٢٤) والدارمي (٢/ ٣١) كتاب المناسك: باب أي الحج أفضل، وأبو يعلى (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩) رقم (١١٧) والبيهقي (٥/ ٤٢) كتاب الحج: باب رفع الصوت بالتلبية، والحاكم (١/ ٤٥١) كلهم من طريق محمد بن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق قال: سئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: العج والثج.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الترمذي: حديث أبي بكر حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان ومحمد بن المنكدر لم يسمع من عبد الرحمن بن يربوع وقد روى محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه غير هذا الحديث وروى أبو نعيم ضرار بن صرد هذا الحديث عن ابن أبي فديك عن الضحاك عن عثمان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه عن أبي بكر عن النبي ﷺ وأخطأ فيه ضرار.

قال أبو عيسى: سمعت أحمد بن الحسن يقول: قال أحمد بن حنبل من قال (في هذا الحديث) عن محمد بن المنكدر عن ابن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه فقد أخطأ.

وقال: وسمعت محمدًا يقول: وذكرت له حديث ضرار بن صرد عن ابن أبي فديك فقال: هو خطأ =

= فقوله: فتوهجت... الخ: يعني جمع بين التلألؤ بضوئها، والتوقد بحرها، فتدبر. (ع)

(١) قوله: «وتدر أخلافه» واحدها خلف: وهو ثدي الناقة، كما يفيده الصحاح. (ع)

(٢) قوله: «فإن قلت ذكر ابن كيسان» لعله «ذكر عن ابن كيسان». (ع)

ابن عباس مثجًا يسبل غربًا، يعني أنه يثج الكلام ثجا في خطبته. وقرأ الأعرج: ثجاجًا. ومثاجج الماء: مصابه، والماء ينثجج في الوادي ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ يريد ما يتقوّت من الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش، كما قال: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ [طه: ٥٤]، و﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمٰن: ١٢]. ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة ولا واحد له، كالأوزاع والأخياف[1]. وقيل: الواحد لف. وقال صاحب الإقليد: أنشدني الحسن بن علي الطوسي

= فقلت: قد رواه غيره عن ابن أبي فديك أيضًا مثل روايته فقال: لا شيء، إنما رووه عن ابن أبي فديك ولم يذكروا فيه عن سعيد بن عبد الرحمن ورأيته يضعف ضرار بن صرد ا. هـ.

قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ٣٤ ـ ٣٥): وهذه الرواية التي خطأها أحمد والبخاري هي عند ابن أبي شيبة في «مسنده» فقال: حدثنا محمد بن عمر الواقدي ثنا ربيعة عن عثمان والضحاك جميعًا عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق سئل رسول الله ﷺ. . . . الحديث وذكر شيخنا الذهبي في «ميزانه» عبد الرحمن بن يربوع فقال: ما روى عنه سوى ابن المنكدر وهذا غلط فإن البزار قال في «مسنده» عقيب ذكره لهذا الحديث عن عبد الرحمن بن يربوع قديم حدث عنه عطاء بن يسار ومحمد بن المنكدر وغيرهما وأظن أن الذي أوقع الذهبي في ذلك كون المزي في «كتابه» لم يذكر راويًا عنه غير ابن المنكدر وكثيرًا ما وقع له مثل ذلك في كتبه والله أعلم. وقال الدارقطني في «كتاب العلل»: هذا حديث يرويه محمد بن المنكدر واختلف عنه فرواه بن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر، وقال: ضرار بن صرد عن ابن أبي فديك عن الضحاك عن ابن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه ورواه الواقدي عن ربيعة بن عثمان والضحاك جميعًا عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال الواقدي أيضًا: عن المنكدر عن محمد عن أبيه عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن جبير بن الحويرث عن أبي بكر والقول الأول أشبه بالصواب وقال أهل النسب: إنه عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع ومن قال سعيد بن عبد الرحمن فقد وهم ا.هـ.

وللحديث شواهد كثيرة من حديث ابن مسعود وجابر وابن عمر.

ـ **حديث ابن مسعود:**

أخرجه أبو حنيفة في «مسنده» رقم (٢٢٣) عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل الحج العج والثج وأخرجه أبو يعلى (٩/ ١٩) رقم (٥٠٨٦) حدثنا أبو هشام الرفاعي قال حدثنا أبو أسامة حدثنا أبو حنيفة به.

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٢٧) وقال: رواه أبو يعلى وفيه رجل ضعيف.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر بمعناه، وضعفه إبراهيم بن يزيد الخرزي، وأخرجه هو وابن ماجه من رواية محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعًا نحوه وقال لم يسمع ابن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع. انتهى.

---

(١) قوله: «كالأوزاع والأخياف» في الصحاح «أوزاع من الناس» أي: جماعات. والأوزاع: بطن من همدان. وفيه «الناس أخياف» أي: مختلفون. وإخوة أضياف، إذا كانت أمهم واحدة، والآباء =

[من الطويل]:

جَـنَّـةٌ لِـفٌّ وَعَـيْـشٌ مُـغْـدِقٌ   وَنَـدَامَـى كُـلُّـهُـمْ بِـيـضٌ زُهُـرْ(١)

وزعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف، ثم ألفاف: وما أظنه واجدًا له نظيرًا من نحو خضر وأخضار وحمر وأحمار، ولو قيل: هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد، لكان قولاً وجيها.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ كان في تقدير الله وحكمه حدًا توقت به الدنيا وتنتهي عنده أو حدا للخلائق ينتهون إليه ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ بدل من يوم الفصل، أو عطف بيان ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ من القبور إلى الموقف أممًا كل أمة مع إمامهم. وقيل: جماعات مختلفة. وعن معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنه رسول الله ﷺ فقال: يا معاذ، سألت عن أمر عظيم من الأمور، ثم أرسل عينيه وقال: تحشر عشرة أصناف من أمّتي: بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكسون: أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عميًا، وبعضهم صمًا بكمًا، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم: يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتنًا من الجيف، وبعضهم ملبسون جبابًا سابغة من قطران لازقة بجلودهم؛ فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس. وأما الذين على صورة الخنازير: فأهل السحت. وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا، وأما العمي فالذين يجورون في الحكم، وأما الصمّ البكم فالمعجبون بأعمالهم، وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين/ ٢/ ٢٥١أ خالف قولهم أعمالهم، وأما الذين

= شتى. (ع)

(١) للحسن بن علي الطوسي. واللف ـ بالكسر ـ: الملتف أريد به الملتفة لتكاثف أشجارها وأوراقها. والمغدق الكثير الواسع. والبيض: مجاز عن الأخبار. ويجوز أنه على ظاهره. ورجل أزهر: مشرق الوجه، فالزهر المشرقو الوجوه، كأحمر وحمر، يعني: أن ندماءه خيار حسان الخصال. أو بيض حسان الوجوه. والمطرد في جمع أفعل وفعلاء على فعل: سكون العين. ويجوز في الشعر ضمها فيما صحت عينه ولامه ولم يضعف كما هنا، وكما في قوله [من البسيط]:

....   وأنكرتني ذوات الأعين النجل

على أنه يجوز للشاعر تحريك الساكن بحركة ما قبله للوزن، ويجوز تحريكه بحركة ما بعده إذا سكن للوقف، فيكون بفتح الهاء، كغرفة وغرف.

ينظر البحر: ٨/ ٤١٢، والدر المصون: ٦/ ٤٦٣.

قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران، وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشدّ نتنًا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم، وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء» (١٧٠٢) وقرئ: وفتحت، بالتشديد والتخفيف. والمعنى: كثرة أبوابها المفتحة لنزول الملائكة، كأنها ليست إلا أبوابًا مفتحة، كقوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢]، كأن كلها عيون تتفجر. وقيل: الأبواب الطرق والمسالك، أي: تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقًا لا يسدّها شيء ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، كقوله: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٦]. يعني أنها تصير شيئًا كلا شيء، لتفرّق أجزائها وانبثاث جواهرها.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠﴾

المرصاد: الحدّ الذي يكون فيه الرصد. والمعنى: أن جهنم هي حدّ الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم. أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها، لأن مجازهم عليها، وهي مآب للطاغين. وعن الحسن وقتادة نحوه، قالا: طريقًا وممرًّا لأهل الجنة. وقرأ ابن يعمر: أنّ جهنم، بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأنّ جهنم كانت مرصادًا للطاغين، كأنه قيل: كان ذلك لإقامة الجزاء. قرئ: لابثين ولبثين، واللبث أقوى، لأنّ اللابث من وجد منه اللبث، ولا يقال «لبث» إلا لمن شأنه اللبث، كالذي يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه ﴿أَحْقَابًا﴾ حقبًا[1] بعد حقب، كلما مضى

١٧٠٢ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٤٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا عبيد الله بن أحمد بن منصور الكسائي ثنا محمد بن عبد الجبار ثنا محمد بن زهير عن محمد بن المهتدي عن حنظلة السدوسي عن البراء بن عازب قال: كان معاذ بن جبل جالسًا قريبًا من رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ قال: يا معاذ سألت عن أمر عظيم إلى آخره سواء ورواه ابن مردويه في «تفسيره» ثنا الحسن بن علي بن أحمد ثنا الحسن بن علي بن الحارث الكسائي ثنا إبراهيم من مسعود ثنا محمد بن زهير به وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي وابن مردويه من رواية محمد بن زهير عن محمد بن الهندي عن حنظلة السدوسي عن أبيه عن البراء بن عازب عنه بطوله انتهى.

---

(١) قوله: «أحقابًا» في الصحاح «الحقب» بالضم: ثمانون سنة. والحقبة ـ بالكسر ـ: واحدة الحقب، =

حقب تبعه آخر إلى غير نهاية، ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها، والاشتقاق يشهد لذلك. ألا ترى إلى حقيبة الراكب، والحقب الذي وراء التصدير[1] وقيل: الحقب ثمانون سنة، ويجوز أن يراد: لابثين فيها أحقابًا غير ذائقين فيها بردًا ولا شرابًا إلا حميمًا وغساقًا، ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب. وفيه وجه آخر: وهو أن يكون من: حقب عامنا. إذا قل مطره وخيره، وحقب فلان: إذا أخطأه الرزق، فهو حقب، وجمعه أحقاب، فينتصب حالا عنهم، يعني لابثين فيها حِقيبين[2] جحدين. وقوله: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ تفسير له والاستثناء منقطع، يعني: لا يذوقون فيها بردًا وروحًا ينفس عنهم حرّ النار، ولا شرابًا يسكن من عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميمًا وغساقًا وقيل «البرد» النوم، وأنشد [من الطويل]:

فَلَوْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أُطْعَمْ نَقَاخًا وَلاَ بَرْدَا[3]

وعن بعض العرب: منع البرد البرد[4]. وقرئ «غساقًا» بالتخفيف والتشديد: وهو ما يغسق، أي: يسيل من صديدهم ﴿وِفَاقًا﴾ وصف بالمصدر. أو ذا وفاق. وقرأ أبو حيوة: «وفاقًا» فعال من وفقه كذا ﴿كِذَّابًا﴾ تكذيبًا؛ وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره؛ وسمعنى بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارًا ما سمع بمثله. وقرئ بالتخفيف، وهو مصدر كذب، بدليل قوله [من مجزوء الكامل]:

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ[5]

وهو مثل قوله: ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] يعني: وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابًا. أو تنصبه بكذبوا، لأنه يتضمن معنى كذبوا، لأنّ كل مكذب بالحق كاذب، وإن جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه: وكذبوا بآياتنا، فكاذبوا مكاذبة. أو كذبوا بها مكاذبين،

= وهي السنون. والحقب: الدهر، والأحقاب: الدهور. (ع)

(١) قوله: «والحقب الذي وراء التصدير» في الصحاح «التصدير»: الحزام، وهو في صدر البعير، والحقب عند الثيل. وفيه «الثيل»: وعاء قضيب البعير. (ع)

(٢) قوله: «لابثين فيها حقيبين» لعله حقبين من حقب بالكسر كجحدين من جحد: إذا كان ضيقًا قليل الخير فيهما، أفاده الصحاح. (ع)

(٣) تقدم.

(٤) قوله: «منع البرد البرد» أي: منع البرد النوم. (ع)

(٥) الكذاب ـ ككتاب ـ: مصدر مضاف لفاعله. وصدقتها وكذبتها ـ بتخفيفها ـ بمعنى: قلت لها قولاً صادقًا تارة، وقولاً كاذبًا تارة أخرى. أو قلت لها: أنت صادقة تارة، وأنت كاذبة تارة. والضمير لنفسه أو صاحبته مثلاً. وعلل ذلك بأن الكذب قد ينفع.
البيت للأعشى، ينظر شرح شواهد الإيضاح ص ٦٠٦، ولسان العرب (صدق) ولم أقع عليه في ديوانه، وشرح المفصل ٦/ ٤٤.

لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة، أو لأنهم يتكلمون بما هو إفراط في الكذب فعل من يغالب في أمر، فيبلغ فيه أقصى جهده. وقرئ: كذابًا، وهو جمع كاذب، أي: كذبوا بآياتنا كاذبين؛ وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب، يقال: رجل كذاب، كقولك: حسان، وبخال؛ فيجعل صفة لمصدر كذبوا، أي: تكذيبًا كذابًا مفرطًا كذبه، وقرأ أبو السمال: وكل شيء أحصيناه، بالرفع على الابتداء ﴿كِتَٰبًا﴾ مصدر في موضع إحصاء وأحصينا في معنى كتبنا، لانتقاء الإحصاء، والكتبة في معنى الضبط والتحصيل. أو يكون حالا في معنى: مكتوبًا في اللوح وفي صحف الحفظة. والمعنى: إحصاء معاصيهم، كقوله: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] وهو اعتراض. وقوله: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات، وهي آية في غاية الشدّة، وناهيك بلن نزيدكم، وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة. وبمجيئها على/ ٢/ ٢٥١ب طريقة الالتفات شاهدًا على أنّ الغضب قد تبالغ، وعن النبي ﷺ: «هذه الآية أشدّ ما في القرآن على أهل النار» (١٧٠٣).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

١٧٠٣ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٤٥).

قلت: رواه الثعلبي من طريق الإمام أبي بكر بن السني: أنا ابن فنجويه، ثنا أبو داود الحراني، ثنا شعيب بن بيان، ثني مهدي بن ميمون، سمعت الحسن بن دينار أنه سأل الحسن عن أشد آية في القرآن على أهل النار، فقال الحسن: سألت أبا برزة الأسلمي، فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: «﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾». انتهى.

وكذلك رواه ابن أبي حاتم في تفسيره: ثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري، ثنا خالد بن عبد الرحمن، ثنا جسر بن فرقد، عن الحسن قال: سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في القرآن على أهل النار، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «﴿فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾». انتهى.

وجسر بن فرقد ضعيف جدًا.

ورواه البيهقي في كتاب البعث والنشور، من حديث مسلم بن إبراهيم: ثني جسر بن فرقد به... فذكره موقوفًا، لم يرفعه.

وكذلك رواه الطبراني في معجمه، رواه موقوفًا فقط، ويراجع.

وأخرجه ابن مردويه في تفسيره، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة: ثنا علي بن أحمد الحواري، ثنا جعفر بن جسر بن فرقد، ثني أبي، عن الحسن به.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي حاتم والثعلبي من رواية جسر بن فرقد السبخي عن الحسن سألت أبا برزة الأسلمي فذكره وجسر ضعيف ورواه الطبراني والبيهقي في الشعب موقوفًا. انتهى.

﴿مَفَازًا﴾ فوزًا وظفرًا بالبغية. أو موضع فوز. وقيل: نجاة مما فيه أولئك. أو موضع نجاة. وفسر المفاز بما بعده. والحدائق: البساتين فيها أنواع الشجر المثمر. والأعناب: الكروم. والكواعب: اللاتي فلكت ثديهن[1]، وهن النواهد. والأتراب. اللدات: والدهاق: المترعة. وأدهق الحوض: ملأه حتى قال قطني. وقرئ: ولا كذابًا، بالتشديد والتخفيف، أي: لا يكذب بعضه بعضًا ولا يكذبه. أو لا يكاذبه. وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ بتخفيف الاثنين ﴿جَزَآءً﴾ مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ كأنه قال: جازى المتقين بمفاز. و﴿عَطَآءً﴾ نصب بحزاء نصب المفعول به. أي: جزاهم عطاء. و﴿حِسَابًا﴾ صفة بمعنى: كافيًا. من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبي. وقيل: على حسب أعمالهم. وقرأ ابن قطيب: حسابًا، بالتشديد، على أنّ الحساب بمعنى المحسب، كالدرّاك بمعنى المدرك.

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾

قرئ: رب السموات، والرحمٰن: بالرفع، على: هو رب السموات الرحمٰن. أو رب السموات مبتدأ، والرحمٰن صفة، ولا يملكون: خبر أو هما خبران وبالجر على البدل من ربك، وبجر الأوّل ورفع الثاني على أنه مبتدأ خبره ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو هو الرحمٰن لا يملكون والضمير في ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لأهل السموات والأرض، أي: ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك، فيزيدون فيه أو ينقصون منه. أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب أو زيادة في الثواب، إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه. و﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ متعلق بلا يملكون، أو بلا يتكلمون. والمعنى: إنّ الذين هم أفضل الخلائق[2] وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه، فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والأرض؟ والروح: أعظم خلقًا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين. وقيل: هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقًا أعظم منه. وقيل: ليسوا بالملائكة، وهم يأكلون. وقيل: جبريل. هما شريطتان: أن يكون المتكلم منهم مأذونًا له في الكلام.

---

(١) قوله: «فلكت ثديهن» في الصحاح: فلك ثدي الجارية تفليكًا» وتفلك: استدار. (ع)

(٢) قوله: «إن الذين هم أفضل الخلائق، تفضيلهم على البشر مذهب المعتزلة، ومذهب أهل السنة تفضيل للبشر عليهم: والظاهر أن الروح كالملك في هذا الخلاف، فتدبر. (ع)

وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى[1]، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱلْمَرْءُ﴾ هو الكافر لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ والكافر: ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم، ويعني ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الشر، كقوله: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٥٠ ـ ٥١]، ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ٩ ـ ١٠]، ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، و(ما) يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدّمت، أي ينظر أي شيء قدّمت يداه، وموصلة منصوبة بينظر، يقال: نظرته بمعنى نظرت إليه، والراجع من الصلة محذوف، وقيل: المرء عام، وخصص منه الكافر. وعن قتادة: هو المؤمن ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف. أو ليتني كنت ترابًا في هذا اليوم فلم أبعث. وقيل: يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء، ثم يردّه ترابًا، فيودّ الكافر حاله وقيل: الكافر إبليس، يرى آدم وولده وثوابهم، فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة» (١٧٠٤).

١٧٠٤ ـ تقدم برقم (٣٤٦).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب.

---

(١) قال محمود: «وقف الشفاعة على شرطين... إلخ» قال أحمد: يعرض بأن الشفاعة لا تحل على مرتكبي الكبائر من الموحدين. وقد صرح بذلك في مواضع تقدمت له، ويتلقى ذلك من أنها مخصوصة بالمرتضين؛ وذوو الكبائر ليسوا مرتضين. ومن ثم أخطأ فإن الله عز وجل ما خصهم بالإيمان والتوحيد وتوفاهم عليه، إلا وقد ارتضاهم لذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ فجعل الشكر بمعنى الإيمان المقابل للكفر. مرضيًا لله تعالى، وصاحبه مرتضى.